نظرية النبوة عند الفارابى

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٧ —

تعددت المدارس وتنوعت الفرق فى العالم الاسلامى ، فمن متكلمين إلى متصوفة ، ومن شيعيين إلى سنيين ، وتحت كل شعبة من هؤلاء طوائف شتى وأحزاب متفرقة . بيد أن هذه المدارس المتنوعة والفرق المتعددة تلتقى فى نقط مشتركة ويقوم الخلاف بينها على بعض المبادىء العامة . وقد استطاعت التعاليم الفلسفية أن تنفذ إليها جميعاً ، ولكن بدرجات متفاوتة . ففى حين أن الشيعة ، وخاصة الاسماعيلية ، يتقبلون بقبول حسن كثيراً من الآراء الفلسفية ، ترى أهل السنة يقفون من هذه الآراء موقف الحذر والحيطة ؛ وعلى هذا النحو يمكننا أن نلاحظ أن المعتزلة يدنون فى أغلب أبحاثهم من الفلاسفة ، فى حين أن الأشاعرة يعارضونهم ويناقضونهم . وقد سبق لنا أن بينا مقدار تأثر فلاسفة الاسلام بنظرية النبوة الفارابية ، ونريد اليوم أن نبين إلى أى مدى استطاعت هذه النظرية أن تؤثر فى المدارس الاسلامية الرئيسية ، وكيف استقبلت من معارضيها ومحبذيها . ولا نظننا فى حاجة إلى أن نبين موقف الصوفية منها ، فهى بما فيها من تصوف كفيلة بأن تنال حظوتهم ، وهى فوق هذا تضع أساساً علمياً لآرائهم ونظرياتهم . وسنقصر حديثنا على المعتزلة والأشاعرة من علماء الكلام ، والاسماعيلية والباطنية من الشيعيين

وأما المعتزلة فقد دالت دولتهم تقريباً وانقضى سلطانهم قبل أن تظهر نظرية النبوة الفارابية فى ثوبها الواضح وشكلها الكامل . غير أن نظرية كهذه تتلاءم مع نزعتهم العقلية وروحهم الفلسفية ، ولا نظنهم ، لو أدركوها ، كانوا يحاربونها ويقابلونها بالرفض والمعارضة الصريحة ، ذلك لأن أكبر مأخذ يؤخذ عليها ، كما أسلفنا ، أنها تتعارض مع بعض النصوص الثابتة الواضحة ، ولكن المعتزلة وقد فتحوا باب التأويل على مصراعيه لن يعدموا الحيلة فى التوفيق بين هذه النصوص وبين فكرة تشرح النبوة شرحاً عقلياً فلسفياً . وأما الأشاعرة فقد نصبوا أنفسهم للدفاع عن التعاليم الاسلامية المأثورة ، وجدُّوا فى تفهمها كما وردت . حقاً إنهم يقولون بالتأويل ، ولكنهم لا يتوسعون فيه توسع المعتزلة

ونظرية الفارابى فى النبوة تناقض فى رأيهم مناقضة صريحة طرق الوحى المسلم به فى الكتاب والسنة . ومما يؤسف له أن أبا الحسن الأشعرى وهو من معاصرى الفارابى لم يخلف لنا شيئاً يعتد به فى هذا الصدد . إلا أن الغزالى وهو أكبر نصير للأشاعرة على الاطلاق ، وفى النصف الأخير من القرن الخامس الهجرى بوجه خاص ، لم يغفل نظرية الفارابى فى النبوة ، وتحامل عليها كما تحامل على الآراء الفلسفية الأخرى ، ولكنه فى تحامله هذا لم يستطع أن يرد عليها رداً مقنعاً أو ينقضها بشكل واضح . على أنه هو نفسه بالرغم من خصومته لها وتحامله عليها لم ينج من أثرها ، وقال بآراء تقترب منها كل القرب ؛ وخصومة الأفكار تختلف إلى حد ما عن خصومة الأشخاص ، فقد تستطيع التبرؤ من كل ما يتصل بخصمك المادى مع أنه يعز عليك أحياناً أن تنجو تماماً من سلطان فكرة تعارضها ، ذلك لأن النظريات والآراء مما فيها من قدر من الصواب يمكنها أن تؤثر فى أصدقائها وأعدائها ، بل وفى أشد الناس هجوماً عليها ؛ ولا أدل على هذا مما نلاحظ فى مسألتنا الحاضرة ، فأن الغزالى يناقض فى كتابه «تهافت الفلاسفة» نظرية النبوة الفارابية ملاحظاً أن النبى يستطيع الاتصال بالله مباشرة أو بواسطة ملك من الملائكة دون حاجة إلى العقل الفعال أو قوة متخيلة خاصة أو أى فرض آخر من الفروض التى يفترضها الفلاسفة[1] ، ثم يعود فى كتابه « المنقذ من الضلال » فيقرر أن النبوة أمر مسلم به نقلاً ومقبول عقلاً ؛ ويكفى لتسليمها من الناحية العقلية أن نلاحظ أنها تشبه ظاهرة نفسية نعترف بها جميعاً ، ألا وهى الأحلام والرؤى . وها كم عبارته بنصها : « وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه أن أعطاهم أنموذجاً من خاصية النبوة وهو النوم ، إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب إما صريحاً وإما فى كسوة مثال يكشف عنه التعبير[2] » .

(١) الغزالى . تهافت الفلاسفة ، ص ٢٠٠

(٢) الغزالى ، المنقذ من الضلال ، ص ٣٣

ونحن فى غنى عن أن نشير إلى أن هذه العبارة تحمل فى ثناياها أفكاراً فارابية واضحة وبصرف النظر عما فى موقف الغزالى من تناقض فان اعتراضه على نظرية الفارابى فى النبوة لم يكن شديداً ولا قاطعاً . ولهذا لم يتردد فى أن يعتنقها فى مكان آخر محاولاً ، كما صنع الفارابى ، إدعامها على أساس من الفيض والاشراق . ولعل هذا هو الرأى الأخير الذى اطمأنت إليه نفسه ، ولاسيما . والدلائل قائمة على أن المنقذ متأخر تأليفاً عن التهافت ، ومشتمل على خلاصة أبحاث الغزالى ونتيجة دراساته السابقة

وإذا كانت نظرية النبوة الفارابية قد استطاعت التأثير فى خصومها من الأشاعرة فهى على هـذا أقدر لدى من ينتمون إليها من الاسماعيلية والباطنية . وإنا لنلحظ منذ أخريات القرن الرابع الهجرى أن إخوان الصفا الذين لم يبق اليوم شك فى أمر انتمائهم بالاسماعيليه يشيدون بذكر قوة المخيلة ويبينون ما لها من أثر فى المظاهر النفسية المختلفة ، وخاصة فى المنامات والأحلام والوحى والالهام[1] . ويلخص لنا الغزالى فى رده على الباطنيـة معتقدهم فى النبوات قائلاً إنهم يذهبون إلى « أن النبى عبارة عن شخص فاض عليه من السابق بواسطة الثانى قوة قدسية صافية مهيأة لأن تنتقش عنـد الاتصال بالنفس الكلية بما فيها من الجزئيات كما قد يتفق ذلك لبعض النفوس الذكية فى المنام حتى تشاهد من مجارى الأحوال فى المسـتقبل إما صريحاً بعينه أو مدرجاً تحت مثال يناسبه مناسبة ما فيفتقر فيه إلى التعبير إلا أن النبى هو المستعد لذلك فى اليقظة ، فلذلك يدرك الكليات العقلية عند شروق ذلك النور وصفاء القوة النبوية ، كما ينطبع مثـال المحسوسات فى القوة الباصرة من العين عند شروق نور الشمس على سطوح الأجسام الصقيلة »[2] . ويضيف الغزالى أن هذه الآراء كلها مأخوذة عن الفلاسـفة ، وهذه ملاحظة لا تقبل الشك ولا الانكار[3] وقد تأثر الاسماعيلية بالأفكار الفلسفيـة فى غير موضع ، إلا أن نظرية النبوة على الخصوص راقتهم إلى حد كبير وصادفت هوى فى نفوسهم . فانها لا توضح النبوة فحسب ، بل تشرح فكرة الأمامة التى قامت عليها دعوتهم ،

(١) اخوان الصفا ، رسائل ، جـ ٣ ص ٣٨٥ — ٣٩١ ، جـ ٤ ١٥٩ — ١٦٥

(٢) الغزالى ، فضائح الباطنية ص ٩

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠

وقد قدمنا أن الفـارابى يصرح بأن الامام والنبى والفيلسوف يرمون إلى غاية واحدة ويستمدون تعاليمهم من مصدر مشترك ألا وهو العقل الفعال[1] . وإذا كان بعض الاسماعيلية قد أخذ على عاتقه أن يرد على منكرى النبوة فهو فى الوقت نفسه يدفع شبهاً يمكن أن توجه إلى الأمامة . فنظرية النبوة الفارابية أساس علمى متين بنى عليه الاسماعيليون كثيراً من تعاليمهم . ولم يزيدوا عليها شيئاً إلا أنهم تأولوا بعض النصوص التى سكت عنها الفارابى فقالوا مثلاً إن جبريل هو العقل الذى يفيض على الأنبياء بالمعلومات ، وإن القرآن تعبير عن المعارف التى فاضت على النبى صلى الله عليه وسلم من هذا المصدر[2]

* * *

الآن وقد لخصنا فى اختصار أثر نظرية النبوة الفارابية فى القرون الوسطى الاسلامية ، يجدر بنا أن نولى وجهتنا شطر القرون الوسطى اليهودية والنصرانية لنبين ما إذا كانت هذه النظرية قد تمكنت من النفوذ إليها أم لا . وسنكتفى من بين مفكرى اليهود بموسى بن ميمون الذى يعلن فى صراحة تلمذته للفارابى وابن سينا[3] . وسنشير بين المسيحيين إلى (ألبير لجراند) فقط الذى كثيراً ماردد اسم الفارابى فى مؤلفاته اللاتينية[4] . فأما ابن ميمون فلا نظن أن واحداً من رجال الفلسفة المدرسية — اللهم إلا ابن سينا — قد استمسك بنظرية النبوة الفارابيـة وعنى بها مثل عنايته ، فقد وقف عليها فى الجزء الثانى من كتابه « دلالة الحائرين » نحو مائة صفحة أو يزيد ، وبذل جهده فى التوفيق بينها وبين الديانة الموسوية[5] وترجع الآراء المتعلقة بالنبوة فى نظره إلى ثلاثة أقسام . فطائفة ترى أن النبى مجرد شخص اصطفاه الله من بين خلقه وكلفه بمهمة خاصة سـواء أكان عالماً أم جاهلاً صغيراً أم كبيراً ، فلا يشترط فيه أى شرط ما دام الله قد اختاره ، اللهم إلا أن يكون حسن السلوك سامى الأخلاق ؛ ويرى المشاؤون — ويعنى بهم ابن ميمون فيما نعتقد الفارابى وابن سينا — أن النبوة تستلزم كمالاً فى الطبيعة الانسانية وسموا فى المواهب العقلية والاسـتعدادات الفطرية ، فليس لـكل شخص إذن أن يكون

(١) الرسالة عدد ١٧٧ ، ص ١٦١٥

(٢) الغزالى ، فضائح الباطنية ، ص ٩

(٣) اسرائيل ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ٦٤

(٤) Madkour, La place d' al Fârâbi, p. 2.

(٥) Maimonide, Guide, t. II, . 259 — 294.

نبياً ، بل من اكتملت فيهم صفات نفسية وعقلية معينة . والرأى الأخير الذى ينحاز إليه الفيلسوف اليهودى هو أن النبى إنسان كامل من الناحية العقلية قد فضله الله واصطفاه على عباده الآخرين[١] . ولا بد له من مخيلة قوية تمكنه من الاتصال بالعقل الفعال وتقفه على الأمور المستقلة كأنما هى أشياء محسوسة ملموسة[٢] . وعلى قدر ما تعظم المخيلة ويزيد اتصالها بالعالم العلوى تسمو الالهامات النبوية وتتنوع ، ومن هنا تفاوت الأنبياء فيما بينهم بتفاوت مخيلاتهم ، واختلف ما يوحى إليهم تبعاً لذلك[٣] . فقوة المخيلة إذن ذات أثر كبير فى الكشف والالهام وشرط أساسى فى كل من يرقى إلى مرتبة النبوة[٤] . بيد أنه يجب أن يضم النبى إلى مخيلته قوى عقلية عظيمة ، لأن المخيلة لا تستطيع أن تصعد إلى درجة العقل الفعال إن لم يكن فى معونتها قوى فكرية ممتازة[٥] . هذه الملاحظات على اختصارها تكفى للبرهنة على أن ابن ميمون اعتنق فى إخلاص نظرية الفارابى فى النبوة

وأما ألبير لجراند فقد أثرت فيه الآراء الفارابية عامة من نواح كثيرة . فهو يقول بنظرية فى السعادة لا تختلف كثيراً عما ذهب إليه الفارابى ، ويقرر أن الانسان متى وصل إلى مرتبة العقل المستفاد أصبح على اتصال دائم بالعالم الروحانى ، وأمسى إلى حدما شبيها بالله ، ووقف على المعارف المختلفة ، وفاز بغبطة لا نظير لها[٦] . ويحلل من جهة أخرى نظرية النبوة تحليلاً سيكلوجيا يتفق اتفاقا تاما مع ما جاء به الفارابى[٧] . كل هذا يثبت ، كما لاحظ ربنان من قبل ، إلى أى حد نفذت اللغة العربية والنظريات الاسلامية الخطيرة إلى المدرسة الألبيرية[٨] . ومهما علينا أن نحدد على وجه التقريب المصدر الذى استقى منه ألبير نظرية النبوة الفارابية ، فانه لا يبعد أن يكون قد قرأ عنها شيئاً فيما ترجم من كتب ابن سينا إلى اللاتينية ، أو فى كتاب دلالة الحائرين الذى أحرز منزلة عظيمة فى مختلف المدارس المسيحية

(يتبع) ابراهيم بيومى مدكور

(١) ibid., p. 298.
(٢) Ibid, p 333 et suiv.
(٣) Ipid., p. 333
(٤) Ipid.' p. 232.
(٥) Ipid., p. 313
(٦) Reuan, Averroès, 235
(٧) Ibid
(٨) Ipi

فى الأدب المقارن

أشكال الأدب
فى الأدبين العربى والانجليزى
للأستاذ فخرى أبو السعود

تبدأ العلوم والفنون الانسانية كلاً مختلطاً كالسديم ، فاذا ما ارتقت وتطورت تبينت أجزاؤها وانفصلت ، ووضحت أشكالها وتميزت ، وتعددت مناحى كل علم وفن ، وتوفر بعض ممارسى تلك العلوم أو الفنون على ناحية من نواحى العلم أو فرع من فروع الفن وتوفر غيرهم على غيرها ، كلٌّ يتبع ما هو أقرب الى طبعه وأوفق لعبقريته وأتمّ تعبيراً عن منازعه ؛ وكلما ارتقى العلم أو الفن جدت فيه ضروب وأشكال لم تكن من قبل ، وتولدت من الأشكال القديمة أخرى غيرها

وذلك شأن الأدب : يبدأ بانفصال الشعر عن الموسيقى ، فاذا هو ألحان وأهازيج ساذجة المعانى ؛ ثم ما يزال جانب المعنى منه يقوى حتى يطغى على جانب النغم ، حتى يبلغ الشعر أشده وما تزال الأمة متبدية ؛ فاذا ما نالت حظاً من الحضارة والثقافة ظهر النثر بجانب النظم ، حاوياً لكثير من مميزات الشعر الفنية : كالتعبير عن الوجدان وحسن اختيار الألفاظ المعبرة ، فاذا ما استمر الأدب فى رقيه تعددت أشكال النظم والنثر واختلفت صورها ، واجتذب كل شكل فريقاً من الأدباء يصطفونه دون غيره أو بجانب غيره ، لاخراج أفكارهم وأحاسيسهم فى قالبه ، وإبراز نظرتهم الى الحياة فى أوضاعه وحدوده

فتعدُّد أشكال الأدب من دلائل رقيه وابتعاده عن عهود الابتداء وعصور الابهام والعموم ، وهو أيضاً من دلائل سريان روح التجديد فيه : فمن طبيعة النفس الانسانية أن تسأم النغمة الواحدة إذا كررت ، مهما كانت عذوبتها أو براعة صاحبها ، وتستوى فى ذلك الموسيقى وغيرها من الفنون ، فاذا ما سئم جيل شكلا من أشكال الأدب ، أو أصبح ذلك الشكل الأدبى غير ملائم لعصره ، فأن روح التجديد — إذا كانت هناك — تدفعه